إحدى عشرة قصة قصيرة جداً

محمود شقير

أنيشكا

أجلس على الكنبة الوحيدة في صالة الاستقبال. صالة صغيرة لا تتسع إلا لعدد محدود من الأشخاص. وأنيشكا تقف وراء الكاونتر، ترقب المطر النازل بغزارة، وتمعن في الصمت كما لو أنها تتذكر أياماً مضت تحت مطر مشابه. وأنا أشرب الشاي ببطء، وأرقب المطر الذي يبلل الرصيف والشارع، ولا أكلم أنيشكا إلا على فترات متقطعة، كي لا أشوش عليها ذكرياتها التي يؤججها المطر.

أسألها مثلاً إن كانت تحب أن تعيش في البرازيل (زوجها برازيلي مقيم معها في براغ) تقول بلغة انجليزية غير سلسة (تعلمت اللغة من خلال محادثاتها المتكررة مع زبائن البنسيون): أفكر في ذلك أحياناً. ثم تصمت وتمد نظراتها نحو الباب وإلى الخارج لتتابع انهمار المطر، وأنا أرقب عيني أنيشكا ولا أسألها إن كانت تتذمر من شيء ما، ثم أتشاغل بتأمل المطر وهو ينزل على رؤوس المارة، وأقدّر أن أحد المارة قد يتعرض لحادث سير، أو قد تنزلق قدمه ويسقط

محمود شقير، كاتب وقاص فلسطيني / القدس

على الأرض بسبب المطر، وأنيشكا تفكر بأشياء لا أعرفها، أو ربما تفكر بالحياة في البرازيل التي عاشت فيها ثلاث سنوات.

وكان يمكن أن نستمر أنا وأنيشكا في اجترار الذكريات، كل من زاويته الخاصة، لولا أنني انتهيت من شرب الشاي، ولولا أن ابن أنيشكا النائم في عربته بالقرب من أمه، قد استفاق.

انتظار

المقهى بعيد، وأنا ألهث من طول المسافة. جلستُ في الفسحة المظللة، وعلى الرصيف سبع نساء ينتظرن الحافلة، ويتثاءبن من طول الانتظار.

نقود

تركت أنيشكا ابنها في صالة الاستقبال، وصعدت معي إلى غرفتي. قلت لها: قد يبكي الطفل، لماذا لا تحضرينه معك؟ قالت: لن يبكي. ولم يقنعني جوابها، لأنني كنت مشفقاً على الطفل، الذي تابعنا بعينين مستعطفتين وهو مكبل في عربته.

فتحتُ باب الغرفة وطلبت من أنيشكا أن تتفضل بالدخول. دخلت بخفة، وكان سريري مرتباً. رتبته عاملة جاءت وقت الضحى حينما كنت خارج البنسيون. فتحت أنيشكا خزانة الثياب، جلست القرفصاء، وانحنت وفي يدها رزمة المفاتيح. وأنيشكا الآن تبدأ بمعالجة الخزنة التي سأضع فيها نقودي، حماية لها من اللصوص.

فتحت أنيشكا باب الخزنة المعدنية. قالت لي: هل ترى! بوسعك الآن أن تضع رقماً سرياً وتغلق الخزنة، ثم تضرب الرقم نفسه لكي ينفتح لك الباب. أغلقتُ باب الخزنة وفقاً لتعليمات أنيشكا، ثم حاولت أن أفتحها وأنا جالس القرفصاء، فلم تنفتح. ثمة خطأ ما. ظلت أنيشكا تحاول المرة بعد الأخرى، أصابها الحرج لأن الخزنة لا تبوح لها بسرها. ثم عرفت السر بعد عدد من المحاولات.

كان الأمر مثيراً للارتياح، وأنيشكا ترقب المشهد الذي صنعته بإعجاب، وأنا أفتح باب الخزنة وأغلقه كما أشاء. تنهض أنيشكا، تعدل بلوزتها الصفراء وبنطالها الجينز، تغادر غرفتي

بخدين موردين وفي يدها رزمة المفاتيح .

بريد

خلعت قبعتي استعداداً للدخول . خلعت درعي الذي يصد عن صدري الرماح . الرسالة في يدي، وساعي البريد يسلمني جواباً على رسالتي التي لم أضع عليها الطوابع بعد .

الهاتف

رن جرس الهاتف في صالة الاستقبال، ولم تكن أنيشكا هناك . كانت أنيشكا في غرفتي . طفلها سمع الرنين وأجاب بضحكة وببضع إشارات من يده . استمر الرنين ولم تكن أنيشكا هناك . كانت مديرة البنسيون هي التي تتصل من بيتها، لأن بعض الزبائن الذين انتهت إقامتهم في البنسيون ظهر هذا اليوم، عادوا من مركز المدينة لأخذ حقائبهم التي وضعوها في صالة الاستقبال، لأن موعد سفرهم قد حان .

هبطت أنيشكا الدرجات نحو الطابق الأرضي . رأت الزبائن السابقين ينتظرون على الرصيف قريباً من باب البنسيون، هواتفهم النقالة على آذانهم، والتذمر ظاهر على وجوههم . فتحت أنيشكا لهم الباب، ثم رنّ جرس الهاتف من جديد . ارتفع صوت المديرة هادراً مثل رعد مفاجئ: أخبريني أين كنت؟ أخبرتها أنيشكا بالحقيقة من دون زيادة أو نقصان . (لا يدري أحد حتى الآن هل اقتنعت المديرة بكلام أنيشكا أم لم تقتنع!) امتقع وجه أنيشكا وهي تستمع إلى كلام مر تتفوه به المديرة، وأنيشكا تصغي لحظة ثم تحاول توضيح موقفها في اللحظة التالية، والزبائن السابقون يصخبون من حولها وهم يجرّون حقائبهم نحو الخارج .

الشيء الوحيد الذي أربك أنيشكا، هو بكاء طفلها في اللحظة غير المواتية . بكى لأن شيئاً ما لم يعجبه، كما يبدو، في تلك اللحظة المشحونة بالتوقعات .

محطة

أسندت رمحي إلى صخرة في الجوار، ورحت أحصي كل شيء من حولي، كما لو أنني مبعوث دائرة حكومية ما . فماذا رأيت؟ رأيت عشر حافلات تمر، ولم أر سوى ثلاث نساء ينزلن

في المحطة المجاورة.

غياب

غابت أنيشكا ثلاثة أيام، ولم أسأل أحداً عنها، كي لا يفسَّر كلامي على غير معناه الصحيح. أجلس كل صباح في صالة البنسيون لكي أشرب الشاي. أرقب عربات الترام التي لا تتأخر عن مواعيدها، وأرقب الناس من خلف الزجاج وهم يمضون إلى شؤونهم، وبين الحين والآخر تظهر عاملة البنسيون، تبتسم لي كلما نظرتُ إليها، ولا تتوقف عن حركتها الدائبة، تأخذ شيئاً من هنا، أو تضع شيئاً هناك. وأقول لنفسي: ربما فصلت أنيشكا من عملها بسبب التباس غير مقصود!

في اليوم الرابع رأيتها هناك، خلف الكاونتر في صالة البنسيون كالمعتاد، تتبادل الكلام مع امرأة نحيفة تشبهها إلى حد ما. أبديت قلقي لغيابها، والمرأة الأخرى تحدق بي كما لو أنها تحاول أن تفهم ما أقول. قالت إنها لا تعمل سوى ثلاثة أيام في الأسبوع. قالت ذلك ببساطة ممزوجة بشيء من الأسى الخفيف.

قلت لها محاولاً تغيير الموضوع وأنا أرقب المرأة التي تقف أمامها: لديك صديقة جميلة. قالت: هذه أمي. ثم ضحكتْ وهي تترجم لأمها ما قلت. ضحكت أمها باعتدال، وظلت المرأتان تتبعانني بنظراتهما حتى غبت خلف الباب.

غرق

مثل نحلة لا تستقر في مكان واحد أكثر من لحظة واحدة. تتفقد مطعم البنسيون، تزوده بالجبن والزبدة والمربى والبيض المسلوق كلما نقص. تحضر مزيداً من الخبز للزبائن الذين يتناولون طعام الفطور وهم غارقون في سرد الحكايات! (هل يروون أحلامهم التي رأوها في المنام؟) بعد ذلك يضحكون!

مثل نحلة، تسارع إلى المطبخ، تنظف الصحون والملاعق والسكاكين والكؤوس بالماء والصابون، وتعود بها إلى المطعم لكي يستخدمها زبائن قادمون من غرفهم التي عركتها فوضاهم في الليل.

تصعد إلى الغرف ومعها الشراشف النظيفة والمناشف وقطع الصابون. تجتاحها غرفة بعد

غرفة. تبدل شراشف الأسرة والمناشف، تنظف المراحيض والمغاسل، تقرأ أخلاق كل زبون من هيئة غرفته وحمامه، ولا تقول شيئاً لأحد، لأن أحداً لا يطلب منها أن تقدم تقريراً عن زبائن البنسيون.

تعود بعد العصر إلى بيتها متعبة مهدودة الجسد. تضطجع في سريرها منتظرة زوجها الذي يعمل في فندق بالمدينة، ولا يفتأ يحدثها حينما يعود عن كل شيء يراه أثناء العمل، تبتسم حيناً وتعلق بكلام طفيف حيناً آخر. ولا يسكت إلا حين يلاحظ أنها غرقت في بحر النوم. يغرق مثلها في البحر نفسه وينام.

ورقة

ورقة على الجدار قرب مدخل البنسيون، وأنا أقرأ الورقة كلما خرجت. الورقة تنصح الزبائن بضرورة إغلاق الأبواب جيداً عند الدخول وعند الخروج، كي لا يتسلل اللصوص إلى الداخل، ومن ثم يتمكنون من الوصول إلى غرف الزبائن، وآنذاك لن يهب لنجدتهم أحد إلا بعد وقت طويل، أو قد لا يهب لنجدتهم أحد، لأن المديرة تغادر مكتبها في أي وقت تشاء، وموظفة الاستقبال تغادر الصالة عند المساء، ولا يبقى في البنسيون سوى الزبائن الذين يحملون مفاتيح تفتح أبواب غرفهم، وتفتح في الوقت نفسه البابين الرئيسين للبنسيون.

خرجت للتجوال في شوارع المدينة بعد أن قرأت الورقة للمرة العاشرة (أخشى كلما قرأتها من خطأ فادح أو من حلم فادح). مشيت حتى وصلت مبنى المسرح الوطني. رأيت أصنافاً كثيرة من الخلق. رأيت أشخاصاً لم تألفهم المدينة من قبل، لهم رؤوس حليقة وسحن منفرة ولسان حالهم يقول: نحن قادرون على إلحاق الأذى بمن نشاء، ولا يهمنا رجال الشرطة الذين لنا بينهم أعوان، ندفع لهم نقوداً ونمرر أي شيء نريد، من الجنحة الصغيرة حتى الجريمة النكراء. مشيت حتى وصلت مبنى المتحف الوطني. رأيت التمثال الذي بناه فنان ما، من الإسمنت ومن بقايا الأحذية العتيقة. رأيت النشالين وبائعي المخدرات ونساء الشوارع. مشيت حتى وصلت مبنى البنك المركزي. رأيت التمثال المقدود من حديد دبابة ما. التمثال يجسد قبلة بين ثغرين من حديد لرجل وامرأة. رأيت مدخل الكازينو بالقرب من التمثال. ورأيت زبائن الكازينو يدخلون ولا

يخرجون.

مللت التجوال في شوارع المدينة. رأيتني أعود إلى البنسيون قبيل منتصف الليل وإلى جواري امرأة ظهرت لي للتو، تأملت وجهها وقلت إنها أم أنيشكا التي رأيتها البارحة. وقفت على الرصيف وتلفتّ بحذر قبل أن أفتح الباب الذي يأخذني إلى غرفتي داخل البنسيون. تلفتّ في كل اتجاه ولم أعد أرى المرأة إلى جواري. فتحت الباب، فوجئت وأنا أرى ثلاثة من اللصوص ومعهم امرأة، ينتظرونني في الممر الداخلي للبنسيون.

سؤال

اللوحة على الجدار مقابل السرير، والسرير في غرفة في الطابق الثاني من البنسيون، والبنسيون مكوّن من ثلاثين غرفة، في كل غرفة لوحة أو اثنتان.

واللوحة مكونة من ألوان زيتية على قماش، وعلى القماش فرسان يركبون خيولهم، وثمة نساء يرقبن فرسانهن في ابتهاج.

قلت لها (هل هي أم أنيشكا أم امرأة أخرى؟): إني أسمع وقع حوافر الخيول وصليل السيوف وقعقعة الرماح! قالت لي: نم الآن، أنت لا تسمع سوى ضجيج السيارات في الشارع. سألتها: في أي عصر نحن الآن؟ قالت: نم، وسأطرح سؤالك على موظفة البنسيون في الصباح.

ولم أنم، (أو هذا ما تراءى لي) لأنني ظللت أبحث في الليل عن جواب للسؤال.

طحين

تراءى لي أننا على مسافة ما من المدينة. خبأت الرمح تحت أكياس الطحين، وسألتها: كم رغيفاً جهزت لرحلتنا القادمة؟ قالت: لم أجد طحيناً! قلت: أحضرته بنفسي وخبأت الرمح هناك. قالت: رمحك خبأته تحت أعواد الحطب. نبشت حزمة الحطب وبعثرت أعوادها ولم أجد شيئاً. كان الرمح في مكان آخر، وكذلك الطحين، ولم تكتمل رحلتنا بسبب ذلك.